

النصوص الأدبية الجزائرية وأثرها في تعزيز الهوية الوطنية لدى متعلم الطور الثانوي " ثورة الشرفاء " نموذجاً لمقاربة نصية

Algerian literary texts and their impact on the promotion of the
national identity of High school learners "Thawrat Echorafaa" a model
for a textual approach

* جفدم تواتية¹ / منصور علي²

Djourdem Touatia¹ / Mansouri Ali²

مخبر اللغة العربية وآدابها

جامعة البليدة 2 علي لونيسي (الجزائر)

Blida 2 Ali Lounici University (Algeria)

elt.djourdem@univ-blida2.dz¹ / alimansouri478@yahoo.fr²

تاريخ النشر: 2024/12/02

تاريخ القبول: 2024/07/22

تاريخ الإرسال: 2024/03/21

ملخص البحث

يتجه بحثنا هذا إلى وصف المساعي الحثيثة للمنظومة التربوية الجزائرية لاعتماد المناهج التعليمية الحديثة، وذلك بتركيز الاهتمام على المتعلم، بعده محور العملية التعليمية التعلمية، كما يسعى إلى تحليل تطبيقات تصور المقاربة بالكفاءات، المرتكز على استثمار المقاربة النصية، وبناء شخصية التلاميذ، من خلال دراسة نصوص أدبية جزائرية. فما أهمية المناهج التعليمية الجزائرية الحديثة في تعزيز الهوية الوطنية لمتعلمي الطور الثانوي عبر المقاربة النصية؟

لقد اتبعنا المنهج التاريخي في تتبع مراحل تطور المناهج التعليمية في الجزائر، كما ارتكزنا على المنهج الوصفي وفق آبتي التحليل والتقد، فأقدمنا على تحليل محتوى النصوص الأدبية الجزائرية ووصف المناهج التعليمية، وعمدنا إلى تفكيك النصوص وتحليلها، للكشف عن الأبعاد الوطنية والثقافية والدينية فيها، وقومنا في ضوء الآلية النقدية- التقائص، وقدمنا اقتراحات وحلول لها. وقد خلص البحث إلى نتائج، أهمها:

* جفدم تواتية: elt.djourdem@univ-blida2.dz

- النص التعليمي نقطة انطلاق المتعلم وتحقيق كفاءاته الأساسية واكتساب مهاراته اللغوية وإنتاج إبداعاته والإفصاح عن قدراته وبناء نفسه.
- القيم ومقومات الوطنية الجزائرية قناعات شخصية وفكرية مترسخة في كيان ووجدان المتعلم الجزائري، وما النصوص الجزائرية إلا امتداد تاريخي ساعد في بلورة شخصيته وتكوينها.
- الكلمات المفتاح: مناهج تعليمية، نص أدبي جزائري، هوية وطنية، مقارنة نصية، ثورة شرفاء.

Abstract :

This research tends to describe the efforts of the Algerian education system, to adopt modern educational programs by focusing attention on the learner. It also seeks to analyze the applications of skills approaches, based on the investment of textual approaches and the construction of student's personality, through the study of Algerian literary texts.

So, what is the importance of modern Algerian educational programs in promoting the national identity of secondary school students through the textual approach?

We followed the historical method and we used the descriptive method. We dismantled and analyzed texts to reveal their national dimensions.

We found results, the most important of which is:

- The educational text is the learner's starting point, it allows him to reach his basic skills, acquire his language skills, produce his creations, reveal his abilities and build himself.

Keywords: Educational methods, Algerian literary text, National identity, Textual approach, Thawrat Echorafaa.



مقدمة:

في ظلّ التّصوّرات البيداغوجيّة التي ساقتها النظريات اللسانية، ومحاولة تطبيقها، مرّت المنظومة التربوية الجزائرية بعدّة إصلاحات؛ من التدريس بالمضامين أو المحتويات، للمقاربة بالأهداف، وصولاً إلى المقاربة بالكفاءات؛ فاعتمدت المناهج التّراسية والكتب المدرسية وفق التجديد الحاصل الذي يرتقي بالفعل التعلّمي إلى

مردود تربوي يتجلى الكفاءات والمهارات، ويُمنّ أواصر التواصل والالتقاء، ويعلو بالمتعلم إلى أعلى المستويات أداءً وإثقاناً.

لم تعد المناهج التعليمية العربية الحديثة مجرد نقل وتقرير لتجربة، بل صارت تصويراً للتجربة الحياتية؛ تدلّ على المعاني النفسية والإنسانية والإيديولوجية والاجتماعية، يلمع نجمها ويعظم أثرها كلما غاص المتعلم في معالجة النصوص، والقضايا التي تميّ شخصيته، وتعزّز هويته، وثبت وجوده. يظهر حرص القائمين على وضع المنهاج التربوي الجزائري على غرس مبادئ الشخصية الوطنية في نفوس المتعلمين، ففي الطور الثانوي مثلاً، نلاحظ حضور النصوص الوطنية في الكتاب المدرسي، كما يسعى الممارس التربوي (الأستاذ) إلى مقارنة النصوص مقارنة نصية.

سعت المنظومة التربوية الجزائرية من خلال اعتماد المناهج التعليمية الحديثة إلى تركيز الاهتمام على المتعلم، بعده محور العملية التعليمية والتعلمية ومركزها، تطبيقاً لمبدأ المقاربة بالكفاءات المرتكز على استثمار المقاربة النصية، المواكبة للتطور السريع، وانتشار التكنولوجيا وتمكين المتعلم من تحصيل المعارف، وتقييم ما تعلمه، وبناء شخصيته، من خلال نصوص أدبية جزائرية؛ ذات أبعاد جمالية ووطنية، لذلك انكبّت عليه بوصفه الدعامة الأساسية وجنّدت إمكانياتها له خصوصاً إذا ما تعلّق الأمر بالوطن والهوية.

نحاول في بحثنا هذا الإجابة عن إشكالية محورية نصوغها كما يلي: ما أهمية المناهج التعليمية الجزائرية الحديثة في تعزيز الهوية الوطنية لمتعلمي الطور الثانوي عبر المقاربة النصية؟

وتندرج تحت تلك الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية، مرتبة كالاتي:

- ما دور النصوص الأدبية الجزائرية من الرؤية التربوية واللغوية والتعليمية؟
 - هل استطاعت المقاربة النصية تحقيق الأهداف والغايات المنشودة في ظلّ التغيرات الحياتية والتطورات التكنولوجية؟
 - كيف تجلّى البعد الوطني في نصوص كتاب اللغة العربية؟
 - افترض الباحثان ثلاث فرضيات منتقاة بعناية خاصّة، ومسطرة بالشكل التالي:
 - تحقق انعكاس إيجابي؛ يترتب عن تطبيق المناهج التربوية الحديثة في الجزائر.
 - محتوى النصوص التعليمية ضمن المناهج التربوية الحديثة في كتاب اللغة العربية للطور الثانوي يتضمن قيم الهوية الوطنية ذات الأبعاد التاريخية والدينية.
 - وجود علاقة وشيجة بين المقاربة بالكفاءات القائمة على مبدأ المقاربة النصية وأداء المتعلمين بإثارة أبعادهم الوطنية واستجابة أبعادهم الفكرية المعرفية.
- يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تتنوع تطوّر المناهج التعليمية الحديثة وتخيّن بها بوصفها الوسيلة المثلى والأنسب لترسيخ المفاهيم الوطنية للمتعلمين.
- جعل النصوص الجزائرية وسيلة طيّعة لدى المتعلّم يحقّق بها كفاءاته ويثمي مهاراته وتحرك وجدانه.
- التعرف على مستويات الهوية الوطنية وبناء الشخصية القادرة على المواجهة وإعدادة للحياة.
- يكتسي البحث أهمية تتمثل في:
- إبراز أهمية بيداغوجية التدريس بالكفاءات لتعليم النصوص الجزائرية في مناهج المنظومة التعليمية الجزائرية بوجه خاص وفق المقاربة التّصيّة.
- ترسيخ الشّعور بالانتماء إلى المجتمع الجزائري في نفوس المتعلّمين، وتنشئتهم على حبّ الوطن والاعتزاز به.

لقد اتبعنا المنهج التاريخي في تتبع مراحل تطوّر المناهج التعليمية في الجزائر وحين التّطرق للوقائع التاريخية خاصة ما تعلّق منها بالتاريخ الوطني، كما ارتكزنا على المنهج الوصفي -وفق آليتي التحليل والتقدّم- باعتباره الأنسب لموضوع بحثنا هذا، فأقدمنا على تحليل محتوى النصوص الأدبية الجزائرية ووصف المناهج التعليمية، وعمدنا إلى تفكيك النصوص وتحليلها، للكشف عن الأبعاد الوطنية والثقافية والدينية وسر أغوارها، وقومنا - في ضوء الآلية النقدية- التّقاّص، وقدمنا اقتراحات لتجتها، وثنّين الإيجابي منها والتشجيع عليه.

أولاً: ضبط التعاريف الإجرائية لمفاهيم ومصطلحات الدراسة

1. **المناهج التعليمية:** هي وسيلة من وسائل المجتمع التي تستهدف تربية أبنائه تربية هادفة ومقصودة، وهو عند التربويين نظام تربوي يؤسس لرفاهية المجتمع باعتباره "مجموعة الخبرات أو المعلومات والمهارات والعادات والاتجاهات التي حصل عليها الفرد واكتسبها بنفسه في المدرسة والتي تحكم سلوكه في البيئة"¹.

إنّ هذا التعريف وإن كان يولي أهمية كبرى للمدرسة باعتبارها مكانا للتنشئة الأصلي بعد البيت إلّا أنّه ضيق النطاق، بحيث حصر- نشاط المدرسة في رقعتها وركّز على المتعلّم متفوقا في ساحتها.

وقد يقصد بالمناهج التعليمية أيضا جملة الخبرات متعددة الأشكال تربويا وثقافيا ودينيا واجتماعيا وفتيا، واعتباره مجموعة من المواد والمقرّرات الدراسيّة المبرمجة على المتعلّم في حجرة الدّرس بمعّية المعلّم².

أي؛ هو كل ما تقدمه المدرسة إلى تلاميذها تنفيذاً لغايتها في استثمار العنصر- البشري وفق ما تمّ تسطيره مسبقاً من أهداف تربوية وخطة محكمة بهدف تحقيق نمو المتعلمين جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً للأخذ بأيديهم إلى النجاح في حياتهم العلمية والعملية. ووفقاً لهذه التعريفات، يمكننا القول: إنّ المناهج التعليمية هي فعل الأكبر في الأصغر وهو البنية الأولى لبناء مستقبل المتعلمين، وركيزة العملية التعليمية والتعلمية. وتوجيه المتعلم وفق خطة شاملة متكاملة الأبعاد تشمل: الأهداف والمحتوى وطرق التدريس والوسائل التعليمية والأنشطة المصاحبة والتقويم، وفق علاقة تأثير وتأثر.³ فهو إذا رؤية شاملة متناسقة التوجهات البيداغوجية في شكلها السقي التعليمي التعليمي بوصفه أشمل من البرنامج.

1.أ- دواعي تطوير المناهج: تتمثل في الأسباب التي دفعت المربين إلى إيجاد حلول من أجل تطوير المناهج، منها:⁴

- عجز المناهج السابقة عن تلبية حاجيات المتعلمين التي أظهرت عن قصور جوهريه تستدعي التغيير.
- التغيرات التي منتهت أهداف التربية وبالتالي تغير النظرة إلى وظيفة المدرسة نظراً للمتغيرات الطارئة على احتياجات المجتمع.
- الانتشار الواسع لاستراتيجيات وخطط تدريسية جديدة وعدم إغفالها عند تطوير المناهج كالتعليم الإلكتروني.

هذه المبادرات ينبغي أن ننظر إليها نظرة تفاؤلية نظرة وفاء ونظرة قدرة على رصد متطلبات العصر- والتأقلم معها، وبلوغ جودة مخرجات المؤسسات التعليمية الجزائرية وتحسين صورتها واستشراف مستقبلها وإعادة صياغة أهدافها التربوية وتطوير محتوياتها وخلق وسائل تعليمية وتكنولوجية للارتقاء بالمستوى التعليمي.

1.ب- الثوابت الأساسية التي ركزت عليها عملية تطوير منهاج اللغة العربية

انطلق الفاعلون في إعادة النظر إلى منهاج اللغة العربية من ثوابت تجدد اللغة العربية وتدعم التراث الوطني والثقافي وتركز على تنمية المتعلم تنمية كلية تحيط بكل جوانبه وتشجعه على الاضطلاع بأدواره على أتم وجه، لذلك سعت المنظومة التربوية الجزائرية إلى ترسيخ جملة من الثوابت الأساسية، وجزارة النصوص وطبعها بمعالم الشعور بالهوية الوطنية، للمحافظة على كينونة المتعلم كجبل سري يربطه بدينه ووطنه ولغته وعاداته وتقاليده.

وفيما يلي تلخيص لأهم الثوابت التي ينبغي على منهاج أن يتبناها ويتقصى فاعليتها:⁵

- يشترط في المنهج أن يبلور التفكير الإيجابي ويتمي مفهوم المشاركة الجماعية وبالتالي يصدّ الأبواب لكلّ روح سلبية.
 - لابدّ للمنهج من أن يبتّ في المتعلّم القدرة على التكيف الاجتماعي والفكري والثقافي.
 - أن يتيح لهم الفرص المتكافئة ويضمن حرية تعبيرهم ويأخذ بأيديهم للتفكير الناقد.
 - أن يشمل المنهج جرعة متكاملة من مبادئ الوحدة الوطنية وتجذير الولاء الوطني لبناء سدّ منيع أمام الانجرار والدوبان للمتعلّمين والتكفل بمبدأ الهوية الذي تمثله الثلاثية: الإسلام والوطن والعروبة.
 - لابدّ أن يغرس المنهج القيم الوطنية ويشحذ ذهنه وتفكيره بالمعارف العلمية والتاريخية والوطنية والاجتماعية والإنسانية والثقافية.
 - أن يعزّز مبدأ الانتماء للوطن وحبّه وتسبيل النفس للذود عنه وصنع الشخصية الوطنية وتعزيزها.
- ومن هنا نقرّ بأنّ عملية بناء المنهج، وتطويره، هي عملية حساسة وصعبة للغاية، يحيط بها سياج المجتمع ومقوماته، الذي يشدّ وثاقه وأزره سياج المحيط المدرسي، المرتبط بالمنظومة التربوية، في علاقة ترابطية متكاملة الأبعاد يؤدي نجاح الأول فيها إلى تنويع بقية الحلقات، وإخفاقه وفشله إلى الانكسار والترضوخ والإقصاء، لذا جاءت ثوابت عملية تطوير المنهج متنوّعة.

ثانيا: منهاج اللغة العربية وتعزيز الهوية الوطنية للمتعلّم من خلال النصوص الجزائرية

إنّ منهاج اللغة العربية في الطّور الثانوي هو نقطة الارتقاء والنّهوض بمتعلّميها، لما له من عظيم الأثر على حياتهم ومجتمعهم، وإعدادهم للتأقلم مع محيطه وتجاوز الصعوبات التي تعترض مساره بنجاح وثبات، لذلك صار تطوير المنهاج وتحسينه أمرا حتميا والسهر على جودته وفاعليته لابدّ منه، فتضافرت الجهود التربوية وكُنُت الأبحاث، لأجل تحقيق هذا الهدف، فكانت الثمرة نظرية المقاربة بالكفاءات كأهم نظرية تعليمية، واختيار بيداغوجي، هدفه تعزيز تطوير المهارات والمعرفة للمتعلّمين وتمكينهم في الوضعيات التعليمية التعليمية، هو نهج يسعى إلى تجهيز المتعلّمين بما يلزم لمواجهة التحديات الحقيقية والواقعية في الحياة والعمل.

وتجّمت نظرية المقاربة بالكفاءات أنظارها على المتعلّم الذي أصبح محور دوران العملية التعليمية التعليمية في جوّ تفاعلي منظم، يستقّم فيه المعلّم دور الموجه والمشجّع والمحفّز للإبداع والمشيّد لاستقلال المتعلّم النّاق الذي يتعلّم فيه مواجهة مواقف حقيقية بتوظيف كفاءاته المكتسبة

وتجنيده موارده المختلفة، "يهدف للوصول إلى مواطن ماهر يترك التعلم فيه أثرا إيجابيا، يمكنه من مجابهة ومعالجة مشكلات حياتية"⁶

تعتبر نظرية المقاربة بالكفاءات واحدة من أهم النظريات التعليمية السائدة في طريق بلورة تكامل معرفي بين طرفي التعلم في ظرف قياسي، فما كان عليها إلا فرض نفسها في ميادين مختلفة وعلى رأسها الميدان الأدبي انطلاقا من أحد الروافد التعليمية في الطور الثانوي، والمتمثل في: الترافد النصي- الحاضن للنصوص الجزائرية التي تسعى إلى ترميز رسائل مفادها تعزيز الشعور بالانتماء للوطن، وتنمية الشخصية والحفاظ على مقومات الهوية الوطنية وغرسها في نفوسهم.

إن تبني المنظومة التربوية الجزائرية مبدأ المقاربة النصية ضمن نظرية المقاربة بالكفاءات هو خيار تعليمي لساني منهجي، تركز فيه على استخدام النص كمرکز للتعلم؛ ينطلق المتعلم منه ويعود إليه باشتاج نصوص جديدة مستوحاة من النص الهدف، يوظف المتعلم فيها موارده لبناء مفاهيم جديدة ويطور مهاراته.

1.النصوص الأدبية الجزائرية

حظيت النصوص الأدبية بمكانة مرموقة نظرا لأهميتها في الجانب التعليمي، فهي مركز ثقل لأغلب أنشطة اللغة العربية، وقاعدتها الحقيقية في تلقي المتعلم المعارف واكتسابه الخبرات والمهارات، فوظيفة النص تعليمية من المنظور البيداغوجي، إذ هو: "وحدة تعليمية تمثل محورا تلتي فيه المعارف اللغوية وغير اللغوية"⁷.

وبهذا يكون النص عبارة عن كيان يحتوي عناصر لغوية وأخرى غير لغوية، وهو دعامة التدريس الأساسية لذلك انصبت جهود المربين واللغويين إلى الاهتمام ببنائه المحكم المتراص والجيد.

يمكن اختصار مفهوم النص الأدبي عند عبد المالك مرتاض في أنه: "ليس مجرد تفاعلة لذيدة تلتهمها بشره، ثم لا نكاد نفكر في الشجرة التي أثمرتها، بل إته روح ونفس وقبس وجمال وحكمة ولغة... النص هو كالفرد والكتابة هي الكاتب قابعا بين كلماتها حين تبكيك، أو حين تمتعك، أو حين تؤذيك."⁸

إن نظرة مرتاض إلى النص نظرة رثيقية؛ تنسم بالافتتاح والشمولية، فهو يراه بأنه نسيج سمحي متكامل التركيب، محبوبك النسيج، يشكل سماته عنصر- الإبداع، ويحرك الأديب فنيات الحياة في فلكه، فيشكل منه مؤسسة اجتماعية تعكس إيديولوجية أسرارها، وأبعاد القيم فيه، وإنسانية رسالته، ولا تكتمل جمالية النص الأدبي إلا بتفاعل المتلقي معه.

2.مكانة النصوص الأدبية الجزائرية

تركز نصوصنا الأدبية الجزائرية نظرها الثاقب على الغايات وتحرص عليها، أكثر من تحقيقها لأهداف غير فنية، فتركيز النص الأدبي الجزائري بهذا التعبير، ودراسته وتحليله منصبّ على الربط العميق بينه وبين السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية، وذلك حرصاً منه على تعزيز فهم المتعلم، وزيادة تفاعله معه بشكل أعمق مع فحوى النص الذي يعدّ نافذة ترويح واستراحة، وأرضاً خصبة للمتعلّم لتغذية رصيده اللغوي، وواجهة ثقافية وفكرية يقتضي منها المتعلّم مناع المعرفة ويشبع بها ميولاته العلمية.

يمكن دور نصوصنا الأدبية الجزائرية في تضمّنها جملة من الأسس النبيلة، والقيم الإنسانية والوطنية والتروحية، "فهو فنّ يحمل القارئ والسامع على التفكير، ويشير فيها إحساساً خاصاً وينقلها إلى أجواء قريبة أو بعيدة من الخيال"⁹.

يمكن تلخيص دور ومكانة النصوص الأدبية الجزائرية في النقاط الآتية:

- نجاعة النص الأدبي الجزائري في توطيد التعلّات الأدائية الرئيسية للمتعلم (الكتابة، القراءة، التعبير بطريقه) عن طريق المقاربة اللسانية النصية.
- النص الأدبي الجزائري ترجمة متقنة لحياة المتعلم الخارجية، وحصنه المنيع، ودوره الحامي لقيمه، وهويته، وماضيه، وحاضره، ومستقبله، ووطنيته التي تعتبر وصلاً وامتداداً للتربية العائلية خارج أسوار محيطه التعليمي.
- النصوص الأدبية الجزائرية مدججة بالقيم ومبادئ المواطنة، وأشكال التراث، وتعكس تركيبنا الثقافية والدينية، وتحتّ على الأصالة وتنمية شعور حب الوطن.

3. خصوصيات النصوص الأدبية الجزائرية

النصوص الأدبية الجزائرية لوحة سيفساء؛ تشكّلتها من عناصر اجتماعية وثقافية ووطنية، خالصة المعدن، وإلى جانب اعتبارها سنداً يداغوجياً، فإنّها تعتبر نبراس المتعلّم الذي تمده بالحياة وتجعله يتنفس الأدب، بفضل نظرتها الفذة، وما تحوزه من قيم إنسانية، وأبعاد توجه السلوك وتهذبه، وتجذر ثوابت الأمة الجزائرية، وتؤصل ركائزها، فرأت بأنّ أنجع استثمار هو تنمية العقول، والسمو بقيمها وانتماءاتها، فأهميتها تكمن في بناء صرح حضاري محكم، ولا يكون هذا إلاّ بترسيخ المقومات التي تشكّل خصوصية النص الأدبي الجزائري، والمترجمة في تشكّل الهوية وتعزيز الشخصية الوطنية. ولعلّ أهم هذه الخصوصيات والمظاهر نذكر ما يلي:

1.3- الهوية: تعدّ الهوية نواة المجتمع الرئيسية غير القابلة للتجاوز، وهي غريزة فطرية في الإنسان، وجزء لا يتجزأ من طبيعته البشرية، فهي صمام أمان المجتمع من الزوال والتشتت والنوبان، تحفظ بقاءه، وتحافظ على استمراريته، وتشكّل انتماءاته، وتُسهم في التكامل والترابط والتلاحم والالتزان.

فالهوية من أكثر المفاهيم تعقيدا، كونها الأكثر التصاقا بالحياة وتعلقا بها، والهوية عند المفكر الفرنسي- أليكس مكشلي هي: "مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما، وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة، كالشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة والاستقلال والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود"¹⁰.

2.3-المواطنة

إنّ المواطنة هي صميم الارتباط الوجداني، فلا مواطنة بغير مواطن ولا مواطن بغير موطن، وأصبح مفهوم المواطنة في القرن العشرين يشير إلى الصلة الوثيقة بين الوطن ومن يقيم به، وتعرّفها الموسوعة العربية بأنها: "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن"¹¹.

فالحديث عن المواطنة يقترن بالهوية والأصالة والقيم والتضحية في سبيل المقومات إلى حدّ نكران الذات، فالإنسان مجبول على حبّ المكان الذي يرى فيه الضوء لأول وهلة، ويتزعزع فيه وينعم بدفته فيجد المواطن نفسه مخلصا لوطنه، ومرتبطا به، وساكنا في كيانه.

4.3-العنصر- الثقافي: النص الأدبي الجزائري من بين النصوص التي تعكس تاريخ وثقافة مجتمعه بشكل جلي، كما يتضمن أدبا جزائري رسالة فكرية ثقافية، يستشّف مضمونها المتعلم ويحظى بمتعتها.

فالثقافة هي: كلّ متكامل الأبعاد، هي: "ذلك الكل المركب الذي يضمّ المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون، والعرف وكلّ المقدّسات، والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معيّن..."¹².

4.3.أ-اللغة: تتصل اللغة بوجدان الشعب، وتجسّد تاريخه المجيد، وتخدم ظروفه، وتعبّر عن مواقفه وهي لسانه الملتزم بقضاياها؛ تعزّز أواصر التواصل والتفاعل اللغوي، فاللغة بهذا هي جسر- التواصل بين المتعلم والنص الذي بين يديه، فكما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: "لا يحتاج المتعلم إلى كلّ ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه، بل تكفيه الألفاظ التي تدلّ على المفاهيم العادية، وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية ممّا تقتضيه الحياة العصرية"¹³.

4.3.ب-العادات والتقاليد: من أجل بناء شخصيات المتعلمين والتأثير فيها إيجابيا، ارتبطت النصوص الأدبية الجزائرية بعملية تنمية الشخصيات وتطويرها، وتعاطت مع التراث الجزائري، فالعادات والتقاليد هي جزء لا يتجزأ من الثقافة؛ تعبّر عن الانتماء للوطن، وتشكّل هويته، وتحفظ تاريخه، ولذلك استغلّت النصوص الأدبية الجزائرية شطآن العادات والتقاليد لتغرسها في قلوب متعلميها، وهكذا تجعل من متعلميها خير سفراء لصيانة موروثها، راسمة بذلك ملامح الوطنية ومعززة شخصية المتعلم، المشحونة بالأنفة والغيرة الوطنية على العادات والتقاليد.

ثالثا: المقاربة النصية

اتجهت الدراسات التعليمية الحديثة نحو الإفادة من اللسانيات في بناء نظرياتها وتحقيق الغايات اللغوية والتواصلية المسطرة، خاصة مع التطور الحاصل والمستجدات التي شهدها العالم أجمع، فاستثمرت الدراسات التعليمية ذاك المجال اللساني بغية الارتقاء بالعملية التعليمية التعليمية، فكانت المقاربة النصية البديل الأمثل والمُنهج للتصدي لجملة المشاكل التعليمية والتربوية.

1. مفهوم المقاربة النصية: هي مصطلح مركب تركيبيا إضافيا من كلمة "المقاربة" ونعني بها: "الكيفية العامة أو الخطة المستعملة لنشاط ما ذات أهداف معينة يراد منها دراسة وضعية أو مسألة أو حلّ مشكلة أو بلوغ غاية معينة أو الانطلاق في مشروع ما"¹⁴.

وكلمة النصية ونعني بها "مجموع طرائق التعامل مع النص وتحليله بيداغوجيا لأجل أغراض تعليمية"¹⁵.

وعليه فالمقاربة النصية من منظور أنها مقاربة تعليمية Approche Didactique هي "الطريقة الاستقرائية المعدلة التي تنطلق في دراسة قواعد اللغة العربية من النص الأدبي وهي أحدث الطرائق وتقوم على تحليل الظواهر اللغوية في النص وما فيها من الخصائص..."¹⁶.

وهكذا تكون المقاربة النصية من المنظور البيداغوجي هي اختيار بيداغوجي يقتضي- الربط بين التلقي والإنتاج، وهي مقاربة تعليمية تهتم بدراسة بنية النص ونظامه.

رابعا: الأبعاد الوطنية في النص الأدبي الجزائري وأهميته في تعزيز شخصية متعلم الطور الثانوي-ثورة الشرفاء أئموذجا-.

نروم في هذا الجانب التطبيقي من بحثنا هذا، تفعيل مظاهر الأبعاد الوطنية المتجلية في النص الجزائري وما يقدمه للمتعلم من أهمية في تنمية وتقوية شخصيته، ورغم أن موضوعنا تطرق الكثير من الدارسين لدراسات مشابهة له إلا أن هاته الدراسات أهملت الكثير من القضايا الوطنية والأبعاد القيمة التي ينضوي عليها النص والتي تنسج خيوطا متراسة لهوية المتعلم، وتشكل شخصه، وما تخلفه من أبعاد حياتية متعددة المجالات في حياته ومحيطه الخارجي.

ولذلك ارتأينا أن نقتفي أثر المنجز النصي- التعليمي من خلال تسليط الضوء على حضور مجموعة القيم الوطنية والأبعاد الوطنية وانعكاس أثرها الإيجابي على نفسية المتعلم وتكريسها لخدمته.

هذا وقد وقع اختيارنا على قصيدة شعرية جزائرية موسومة ب: " ثورة الشرفاء " مرسومة بريشة الشاعر الكبير لسان الثورة الجزائرية المظفرة وزعيمها وملهب هممها، ومقطر حبره من لغة ثورية تفيض مشاعر جياشة وجارفة حبا واعتازا وافتخارا وتبجيلا، وأحد كبار قادتها وسادتها وباني عزها ومجدها، الشاعر الجزائري الشائر المشهور البطل المغوار مفدي زكريا، إذ تنوّل من خلال

هاته الدراسة رصد القيم الوطنية وعظمة الإنسانية وسبل المواطنة ومبادئ التمسك بالشخصية الوطنية المفعمة بها هاته القصيدة.

1. مناسبة القصيدة: هي قصيدة مطلقة الرّوي مشّيع بألف وصل أفرز فيها شاعرنا نبرات الغضب والسخط الذي بداخله والذي يكنّه للمستعمر الفرنسي- مؤكداً على أنّ ما تمّ أخذه بالقوة لن يستردّ إلا بالقوة، فهي قصيدة ذائبة في الوطنية متشّبعة بالتفحّات الدينية.

2- الجانب الوطني في نصّ ثورة الشرفاء: اعتمد الشاعر لهجتين متنوعتين في قصيدته قصد التأثير في مخاطبه، بين تهديد ووعيد لاذع موجه إلى المستعمر وبين لغة فخر واعتزاز بشهامة أبناء جلدته باستعمال رصيد لغوي متنوع تنوّع ثقافته، محرّضا إياهم ضدّ الغاشم الذي عمد طمس الهوية ومحاربة المقدّسات. فيقول الشاعر مفدي زكريا:

مَدَدْنَا خُيُوطَ الْفَجْرِ قُمْ نَضْعُ الْفَجْرَا وَضَعْنَا كِتَابَ الْبَغْثِ، قُمْ تَشْرُ السِّفْرَا

يحد المتعلم نفسه أمام ثورة كتابية قلمية تشغل ذهنه فيعمله ليكسر قواعد رتبة النص فيخرج من إطاره ليتشّيع بالإصرار الشامخ ويعمل على الذود عن وطنه وينصر قضيتته الوطنية في كلّ حين، وتنبّه كلّ جوارحه نحو أهبة الاستعداد لاستقبال هذا النصّ بجفاوة، فيتعلّم معنى النصر الحقيقي، النصر العظيم وكيف تحقّق، فيجدّ الشهداء ويستشعر انطلاق الثورة وكأنّه شاهد عيان عليها فيتخيّلها في ذهنه قبل أن تضمّن نبراتها فيحترق كبد في أتون ثورة الشرفاء فينبض قلبه لجراحاتها المطلّبة بالدماء، فكانت ثورة الجزائر مقدّسة زكية فاتحة الجهاد والفداء الحقيقيين بل كأنّها سفينة النجاة والأمان والحياة الجديدة فزارعت في صورتها سفينة نوح عليه السّلام.

وَسُقْنَا سَفِينِ (الوَعْد) حَمْرًا شِرَاعَهَا يُوحِيهَا لِلنَّصْر، مَن (وَعَدَ) النَّصْرَا

3. تعزيز الهوية الجزائرية:

الهوية ليست كيانا يعطى وإنّما هي أصل ثابت تنمو وتتطوّر وتتغير وتعاني من الأزمات الوجودية مثل ما أثاره شاعرنا في نصه بحيث فتح فضاءات التفاعل مع متلقيه، فلا كتابة تنطلق من عدم وإنّما هنا استحضار هويّة وحماية ذاكرة وطنية تنصهر في بوتقة تفاعلات مختلفة، فنلاحظ الألفاظ التالية: شعب / نحن بنو الأشراف / مقدّسة / ثورة الشرفاء التي تنبض بمفهوم الهوية الجزائرية وتحقق الإمتاع الدلالي للمتعلّم من جهة، وإثارة وتأجيج الوطنية فيه إلى أبعد الحدود والهباب نار الحماسة فيه من جهة أخرى.

هذا وقد غرّد مفدي زكريا باسم الهوية الجزائرية جامعا بين الهوية القومية والهوية الإسلامية، فمن يقرأ له يتعجّب من لمّ الشمل الوطني والقومي والإسلامي، فالعروبة والإسلام وجمان لعملة الهوية الجزائرية فيقفون وقفة رجل واحد كالطود العظيم أمام كلّ من تسوّل له نفسه

الظعن والمساس بعروبتنا وتشيتيت وحدتنا وتهديم لمحتنا التي أدحض الجزائريون شبهاتها رغم أنوف المشككين والزاعمين ورافعوا عالية راية مجد الجزائر العربية الإسلامية، قائلًا:

مقدسة لا نُضِير الغش والغدرا

نَحْنُ بنو الأشراف عُرْبٌ طباطنا

فلسنا نضحي من جزائرها شبرا

فرنسا ذري الأوهام، فالوهم قاتل

هنا يتدبر المتعلم هاته الأبيات البليغة فيولع بها ويهيم فيها فيغيب ذهنه ساعات ودقائق ويشارك هو الآخر في ردّ كيد الكائدين، لأنّه ألقى من المعارف والحقائق ما هو شافي وكافي لتغذية روحه الوطنية العربية الإسلامية ويرتقي لأعلى درجات الوطنية.

1.4.الانتماء:

رفع شاعرنا الفدّ أعمدة الانتماء في قصه ببراعة تامة وهندسة في غاية الروعة بشاعرية فنية أبان عنه في رصفه المتناسك لمعجمه الشعري عن معنى الانتماء وترسيخه

1.4-انتماء عربي: أشعل الشاعر فتيل الانتماء العربي فدّ شعر الثورة الجزائرية جناحه ليظلّ العالم العربي الذي ساندته وقاسمه الأفراح والأحزان، معلنا رفضه الاندماج مع الآخر والذوبان فيه، فجاءت الألفاظ أخوية مشحونة بالانتماء العربي الراض لغطرسة الظلم.

عروبتنا من يستطيع لها نكرا

ويّا عربيّا في بلاد شقيقة

فرغم كلّ المحن التي طالت الشاعر وشعبه الجزائري من كبت وحرمان فإنّه يرى بأنّ قضايا القطر العربي الكبير هي قضايا الشعب الجزائري وهو شعور متبادل، فلن يبدأ للشاعر بال حتى يرى راية المجد التليد ترفرف في كلّ بلد عربي، فنّد وخاطب بلغة الرصاص ليؤكد أنّ الوحدة العربية تجمعها العقيدة وتوحد صفّها العادات والتقاليد.

2.4-انتماء إسلامي: عانق التاريخ الجزائري التاريخ الإسلامي فاستقى صوره ولوحاته لوحاته من التراث الإسلامي الذي رزقه الحياة وبثّ فيه الروح وسما به فكانت ليلة الثورة مثيلتي ليلة القدر وليلة الإسراء لبّى الشعب فيها نداء ربّه وآمن بنصره واستنهض الهمم وحارب الكفار وهذا ما يجعل المتعلم يشق في أنّ الثورة الجزائرية هي امتداد الغزوات الإسلامية ضدّ الحملات الصليبية، وأنّها مباركة عظيمة مبدلة، فيرتفع نبض التحدي لدى المتعلم وتقوى نخوته العربية.

وسبحان من بالشعب، في ليله أسرى

تباركت شهرا بالخوارق طافا

(بوعديك) لولا أنّه يحفظ الذكرا

ولبّاك شعب كاد يفقد ظنّه

3.4-انتماء تاريخي: تاريخ الجزائر عريق ضارب في أعماق الجزائر فلا أحد يشكك في ذلك وهذا ما أكّده الشاعر باستحضاره لوقائع تاريخية وبلورته السياق النوفيري، التاريخ العظيم الذي لا ينسى، افتخر به الشاعر ومجّدّه وقدسه وأضفى عليه بعدا أسطوريا بقريحة شعورية ملحمة عالية تتمتع

المتعلم بصداها وامتدادها في النص فينصب رأسه وكله شرف وفخر وعزة بعد أن نجح الشاعر في إيصال صوت تاريخه وثورته إليه، فالتاريخ يعلم كيفية التخلص من العدو بحمل البنادق والسير في الخنادق.

فما حربنا إلا امتدادا لثورة أراد لها من كان يخذلنا خسرا

فأضفى صبغة عالمية لتاريخ الجزائر وثورتها المجيدة التي تشع إصرارا على إثبات الوجود والتأكيد على أصالة الذات الجزائرية.

5.المواطنة: يتصل المتعلم اتصالا وثيقا بتضه الوطني الموجه إليه، ويحتك مع معلمه وزملائه فينطلق من فئاته الذاتية حول وطنه ويعززها بتفاعله معهم فيستفيد من مواقفهم الإيجابية ووجهات نظرهم باعتبار المواطنة ركيزة المشاركة الفعالة للمتعلّمين في مواجهة رياح الاجتثاث والاقتلاع والعمل على كسر شوكتها، فيتجدد في نفوسهم شعور الإحساس بمسؤولية الدفاع عن الوطن وقضاياها، ويزيد شغفهم به اعتزازا وفخرا وانتماء وتماسكا وإعجابا ببسالة وإقدام رموز وطنهم وشهداءه وقد صدق زكريا حين قال:

وإن أعجبكم ثروة في بطونها
إذا ابتسمت فاضت براعمها ندى
حفرنا لكم في بطن صحرائنا قبرا
وإن حركت أجفانها نفثت سحرا
سنثار حتى يعلم الكون أننا
أردنا، فأرغمنا بإصرارنا الدهرا

نلاحظ تنوع مفدي زكريا في توظيفه للأفعال بين أفعال ماضية من حيث الزمن لكن دلالتها المستقبل (لأن حركت) لأنها مسبقة بشرط وأفعال مضارعة ودلالتها المستقبل القريب لاتصالها بالتين (سنثار). وهذا دليل قاطع على القيمة العظيمة لثورة الجزائر ولتراث الجزائر وبلد الجزائر وأتباعها بلاد الشرف والعفة، العز والكرامة، الأفة والشهامة ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فسلم بذكاء ووطنية عالية المشعل لبراعمها ليكونوا القومة في قلب صحرائها وعلى حدودها، وبناء عزها ومجدها. فيزيد فضول المعلم في كيفية حفظ هذا الإرث ويتحدى كل شيء من أجل أن يكون أفضل سفرائها.

6.الجانب الإنساني في نص ثورة الشرفاء: تجرعت الجزائر مرارة الذل والتكيل نتيجة الهيمنة الاستعمارية، فآكتوى الشاعر بنارها وأثار الحماس في النفوس فهو يحمل هموم وطنه الكبير فيجافيه الردى ويسمر يرعى النجوم مفكرا ساخطا في التخلص من عدو الإنسانية فالجزائري لا يقبل المساومة وإن كانت الأرواح ثمنًا، فانطوى النص على حقل الإنسانية مجسدة في القيم التالية:

1.6-الحرية: أحب الجزائري الحرية وعشقها وحن إليها، فعبر الشاعر عن الحرية بلغة رمزية تمثلت في لفظة "الفجر" في قوله:

مَدَدْنَا خُيُوطَ النَّجْوَى قَدْ تَصْنَعُ النَّجْوَى
وَصُغْنَا كِتَابَ الْبَغْثِ، قَدْ تَشْرُ الْبَغْثِ

وذلك لتشابه صورة الحزبة بعد ظلام الاستعمار مع صورة الفجر بعد انقشاع ظلام الليل. فيعي المتعلم بأن باب الجهاد الذي هو من أبواب الجنة، لا يتاح إلا لباسل استجاب لنداء الوطن وذاد عنه. فشهد الجزائري ضمان الحرية مفخرة لكل متعلم جزائري، فتقوى شخصية المتعلم لحظتها ويدرك أن شهيدته لم يرض بالنذل والإهانة بل استقبل الموت بصدر رحب في ميدان الشرف. فيقول الشاعر مفدي زكريا:

وأشربته حب الشهادة فارقي
على غمرات الموت تلهيه الذكرى

2.6-الحياة: نوفمبر غير مجرى الحياة الجزائرية فكانت ليلة اندلاع الثورة كلية الإساءة في عظمتها وشهر نوفمبر كشهر رمضان في بركته يبت الروح والحياة وينثر نضجات الأمل في سبيل العيش والحياة مجددا.

تباركت شهرا بالخوارق طافها
وسبحان من بالشعب، في ليله أسرى

فتورتنا هي دفاع عن الحياة والحق والوجود والاستقلال والعزة، فشق الجزائريون طريقهم نحو الخلود والاستقلال، فوظف الأفعال المضارعة "نشق، ثلثي، نعبر، نستقل، نصنع" التالية على الحركة واستمرارية الثورة التي مرت على اندلاعها سبع سنوات وبقي استمرارها من أجل استمرار الحياة.

عبرنا على السبع الشداد نشقها
ولم ثلثنا الأرزاء أن نعبر العشر

فلا عز حتى تستقل جزائر
ولا مجد حتى نصنع الوحدة الكبرى

فتتضح رؤية المتعلم لقيمة الحياة ويدرك الصوت الصادق الصارخ المدوي بأنه كائن حر طليق كالنسيم.

7.الفضائل: يمكن أن نلخصها في بعض الأخلاق الإيجابية السامية التي دعا إليها زكريا في نصه متأثرا بالإسلام متشعبا بثقافته العربية الإسلامية وفلسفته الأخلاقية رافضا بدع المحتل الذي لبس ثوب الظالم المعتدي وزعم أنه الضحية فطباع الجزائريين تعاف انحلال النفوس الرذيلة منها: الشجاعة والحزم والعزم والأمانة والصمود والصبر والصدق والشهامة والتخوة والخير والعدل والكرامة والأمل والثقة والتحدى والسلام. فامتلات نفوسهم ثقة وأملا مدّهم بها رب العزة منير الآفاق بعدما كاد الشك في نجاح الثورة يخيم عليهم:

فكم كنت يا رحمان في الشك غارقا
فأمنت بالرحمن في الثورة الكبرى

ونحن بنو الأشراف عرب طباعنا
مقدسة لا نضم الغش والغدرا

عكسوا الصورة وكلّهم تحدي وشجاعة وإقدام وإيمان، وأرعبوا فرنسا وأخضعوها، ونفوا عن أنفسهم الغدر والخداع والخبث، لأنّهم أوصاف تلاثم فرنسا فنسبوا لها وأثاروا النخوة العربية والمروءة الجزائرية وفرضوا وجودهم ورسموا الحروف بعمق الحجر وأزالوا الغبار فهم لا يعرفون للجن معنى وروح الثورة تغلي في أعماقهم:

فرض في الدّنيا احترام وجودنا وننشر في أحلافها الرّعب والذعر

فقد رسم مفدي زكريا لوحة فنية من القيم الأخلاقية ألوانها مشحونة بريقه الشاعر الفياضة ولوعته، أبعادها مقدّسة وأسطورية عكسها في نسج أبياته، أما عن قيمتها ومكانتها فتبلورت في عمق التأثير وشدة الفخر فصوت الثورة يحوب العالم انتصارا وعزّا وقد أكّد هذا حرف "الراء" الجهري المناسب لغرض الفخر والاعتزاز: "حمر شراعها، النصر، الدهر"، حتّى صياغة الألفاظ قد زادت القصيدة قوّة وصلابة يحسّ بها المتعلّم ويراه قبل أن يفهمها، فالحمية الوطنية تدبّ في شرايينه وحبّ الوطن منقوش على صفحات قلبه يأبى التفريط بشبر واحد من أرضه، سالكا مسار السلف الذي لقّن فرنسا دروسا في البطولة والفداء لن تنساها أبد الدهر.

فرنسا ذري الأوهام فالوهم قاتل فلسنا نضحي من جزائنا شبرا

يبدو أنّ الانفعال يعلو نفسية الشاعر لأنّه يرى الحقيقة خلف البصر- وأمامه يقين الثورة ظاهر للعيان، مولع باتمائه مؤمن بانتصار وطنه عاشق لترابه الذي يسري فيه مسرى الدّم. فلا سلاسل الأغلال توقف دم الوطنية ولا التار تحرق جناحي هذا الصقر الباسل الذي يرفض الدّل والهوان ويسعى لمجد الأسلاف.

8. الجانب الاجتماعي والديني في النص: بنى الشاعر مفدي زكريا نصّه على ترسانة اجتماعية وإنسانية وتاريخية ودينية وأخلاقية قويّة متظافرة ومتكاملة ضابطة للمثل العليا ومسخرة لتلقين العالم دروسا في الوطنية الجزائرية وبثّ الوعي الفكري ورفع التحدي وإظهار نصاعة الوجه المشع للثورة المباركة. للمعجم الديني حضور جليّ ومكثّف في نصنا بحيث ربط الشاعر الثورة الجزائرية بأبعاد دينية، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على تشبّعه بالثقافة العربية الأصيلة وتمسّكه بعقيدته الدينية فهو ذو تربية قرآنية حامل لكتاب الله في صدره منذ الصّبا فترجمها في قصيدته التي غدّاها بمفردات روحية كالإيمان بالله والدّود عن الوطن والاستشهاد تحت رايته وتوظيفه رموزا مختلفة الدلالات تدلّ على براعته في استغلال التراث الإسلامي ويتجلّى في الاقتباس من القرآن الكريم.

1.8 عصا موسى: تشير عمليّة التفاعل والتواصل التي يقيمها المتعلّم مع نصّه كيانه ووجدانه فيتلذذ بأثر الاقتباس الذي جعله الشاعر وقود الثورة الجزائرية ونبعها الروحي، فقد نهل من القرآن الكريم قصّة سيدنا موسى عليه السّلام بل كانت أحداثها الأكثر ترددا على ذاكرة الشاعر مقارنة بباقي القصص

وهذا عربون ثقة من الشاعر بنفسه الصنديدة المقاومة المناضلة الصامدة التي تؤد الإطاحة بالجبروت والظلم والاستبداد الذي أحرق أفئدة الجزائريين، ولأنه مؤمن بأن صلاح البشرية يكون في اعتناقها الدين الإسلامي فاستعار عصا موسى التي أربكت فرعون وراحت تلقف السحر لكن عصي- الجزائريين راحت تلقف النار وتحولت لرمز دفاعي بواسطة السلاح. الرمز الذي يصور المواقف الثورية واللحظات الحاسمة للتوار الجزائريين.

ورثنا عصا موسى فجدد صنعها حمانا فراحت تلقف الثار لا السحرا

هنا يتضح تقاطع السياق القرآني مع السياق التاريخي للتعبير عن السياق الاجتماعي، فكانا خادمين للثالث نظرا تشابه المواقف وتتجسد في نصر- الله للثوار وإعانتهم وتحديدهم فشبه صورة تحدي الثوار للنار التي ألهم فتيلها العدو بصورة تحدي موسى للسحرة.

2.8- معجزة التكليم: إن المتعلم على دراية تامة بأن الغاشم الفرنسي- لاقى مقاومة بطولية ملحمة دعامتها الدين الإسلامي والعقيدة ومصدرها القرآن الكريم ما زاد من التفاف الثوار حول ثورتهم المتجلة بعد أن كلمهم الله جهمرا في الأطلس الجبار.

وكلم موسى الله في الطور خفية وفي الأطلس الجبار كلمنا جهمرا

فبعد توظيفه لرمز عصا موسى ها هو يحيلنا إلى جبل الطور المقدس الذي رمز به للأطلس الجبار وقد ضارعه في قداسه وتخصيه بدماء الشهداء الزكية الطاهرة، فكما أوحى الله إلى موسى في جبل الطور وتلقى الأمر خاشعا خاضعا، كذلك تلقى المجاهدون أمر الله بإعلاء صوت الثورة.

3.8- قدسية الثورة وعظمتها: بما لا ريب فيه هو تفاني المتعلم الجزائري في حبه لوطنه الجزائر لأنها أرضه منها نبت وعليها نبت وإليها ينتمي وبها يتصل ويمتد وفيها يرفع مقامها ويعلي شأنها ويفتخر بعظمة ثورتها التي غيرت مجرى حياة ومصير شعب فكانت عظمة تضاهي ليلة الإسراء والمعراج المباركة، شهداؤها قاوموا وتساموا عن أيدي الطغاة، وتناثر منهم عطر الشهادة بعد أن غرست فيهم العزيمة والصبر والثقة، فساد الأمل والهدوء في ليلة الفاتح من نوفمبر وغمرت الثقة قلوبهم أملا منهم برؤية بشائر ربهم.

تباركت شهرا بالحوارق طافها وسبحان من بالشعب في ليله أسرى

ميل المتعلم إلى القصص القرآني وتشوقه إلى الاستماع بها وتبين الأحداث بعضها ببعض، وفهم سبب ربط الثورة بأبعاد دينية، جعل مفدي زكريا يلبي رغبة المتعلم بإعمال ذهنه ليكشف الغوامض ويجد ضالته في غرس القيم في وجدانه وثمته قيم القرآن الكريم في روحه، ويحقق غايته فيكون فردا مسلما سليم القلب ذو أخلاق عالية وقيم نبيلة.

4.8- الثورة وقصة يوسف عليه السلام: شكّلت الثورة الجزائرية زخما حرييا ونضاليا فقد عبّر الشاعر عن سنواتها التي ذاق فيها المجتمع الجزائري الحرمان والبأس والجور بلغة رمزية إنجائية.

عَبَرْنَا عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ نَشَقُّهَا
وَلَمْ تُثْنِ الْأَرْزَاءُ أَنْ نَعْبَرَ الْعِشْرَا

حيث كانت رحم الثورة الجزائرية رحما ولودا لرموز دينية دالة فرمز إليها بالسَّبْعِ الشَّدَادِ في عبارة مستلهمة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام. فيقول الله تعالى: "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ" يوسف-48، وهذا دلالة على قوّة التحمل والضبر بعد سنين مجدبة وتتويجا لمسار طويل من المقاومة، كما أضاف نون المتكلم إلى الفعل "عبرنا" فتحدث بضمير الأنا الجماعي دليلا على انصهار شخصه في مجتمعه فكان كتلة واحدة متلاحمة.

تعدّ القيم الدينية من القيم الشاملة التي تنشئ المتعلم تنشئة اجتماعية وطنية صحيحة لا تشوبها شائبة، تضبط علاقته بمجتمعه وتقوّم سلوكه، تعطيه دافعا للتطور نحو الأفضل ونبد الشر، تضبط نفسه ضبطا إيجابيا فيتحلّى بشيم الصبر والشجاعة والطموح والذكاء، بفضلها يكون محتكا يرسم لنفسه مستقبلا زاهرا بفضل عزمه ومثابرته واتكاله على المولى عزّ وجلّ كما فعل شهداء وطنه وأمجاده وسلفه الصالح، فيتحسّن وعيه وعقيدته ويضبط مطامعه وشهواته ويحافظ على أخلاقه وأخلاق مجتمعه فيستعدّ للتضحية من أجله ونصرته متى استدعى الأمر ذلك.

الخاتمة:

كما سبق تناوله في البحث، نخلص إلى استنتاج جملة من النتائج، هي:

1. العملية التعليمية التعليمية فعالة ومضمونة إلا إذا قامت على ركائز متينة في المنهاج والمبني بدوره على ثوابت حديثة جنباً إلى جنب مع الثقافة الاجتماعية والوطنية.
2. النصّ التعليمي نقطة انطلاق المتعلم وتحقيق كفاءاته الأساسية واكتساب مهاراته اللغوية وإنتاج إبداعاته والإفصاح عن قدراته وبناء نفسه.
3. القيم ومقومات الوطنية الجزائرية قنوات شخصية وفكرية مترسخة في كيان ووجدان المتعلم الجزائري، وما النصوص الجزائرية إلا امتداد تاريخي ساعد في بلورة شخصيته وتكوينها.
4. حسن انتقاء النصوص الجزائرية الوطنية التي تلائم شخصية متعلم الطور الثانوي بالرغم من قلّتها كما وكيفا.
5. جرأة مفدي زكريا وشجاعته ووطنيته البادية في نصه قدوة المتعلم ليكون على أهبة الاستعداد دوماً ويقنح نار الوغى دون مبالاة لأنّه يراها بردا وسلاما وبسالة.
6. يستنطق المتعلم التاريخ الجزائري ويتّردّد أنغام شعبه التّوّاق للحرية الشائر لبلده الغيور على وطنه المحبّ لفضائل الخير والأخلاق.

هوامش:

- ¹ عمران جاسم الجبوري، حمزة هاشم السلطاني، 2013م، المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية، ط1، عمان-الأردن، دار الضؤوان للنشر، ص21.
- ² إبراهيم محمد الشافعي وآخرون، 1416هـ، المنهج المدرسي من منظور جديد، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، ص26.
- ³ ماهر إسماعيل صبري محمد يوسف، 2009م، المدخل للمناهج وطرق التدريس، ط1، توزيع جمهورية مصر العربية، مملكة السعودية، سلسلة الكتاب الجامعي العربي، ص11.
- ⁴ شوقي حساني محمود حسن، 2009م، تطوير المناهج رؤية معاصرة، ط1، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ص21.
- ⁵ سعدون محمد الساموك، هدى علي جواد الشمري، 2005م، مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، عمان-الأردن، دار وائل، ص108.
- ⁶ طيب نايت سلمان وآخرون، 2004م، بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، مفاهيم بيداغوجية في التعليم، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص26، 27.
- ⁷ بشير إبرير، 2007م، تعليمية التصوص بين النظرية والتطبيق، ط1، إربد-الأردن، عالم الكتب الحديثة، ص129.
- ⁸ عبد المالك مرتاض، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، مجلة تجليات الحداثة، ع4، ص39.
- ⁹ طه علي حسين الدليمي وسعاد عبد الكريم عباس الوائلي، 2005م، اللغة العربية مناهجها وطرق تدريسها، ط1، عمان-الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ص227.
- ¹⁰ أليكس مكشلي، 2003م، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، الكويت، عالم المعرفة، ص15.
- ¹¹ الموسوعة العربية العالمية، 1999م، ط1، الرياض-المملكة العربية السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ص189.
- ¹² دوني كوش، 2007م، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، ط1، بيروت-لبنان، المنظمة العربية للترجمة، ص30.
- ¹³ عبد الرحمن الحاج صالح، 1973م، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، الجزائر، عدد (4)، ص44.
- ¹⁴ خير الدين هتي، 2005م، مقارنة التدريس بالكفاءات، ط1، الجزائر، مطبعة عين البنيان، ص101.
- ¹⁵ عبد الكريم غريب، 2006م، المنهل التربوي - معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، الدار البيضاء-المغرب، منشورات عالم التربية، ج1، ص92.
- ¹⁶ حسن شحاتة، تعلم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، لبنان، الدار المصرية اللبنانية، ص222.

قائمة المراجع:

الكتب:

- 1- أليكس مكشلي، 2003م، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، الكويت، عالم المعرفة.

- 2- إبراهيم محمد الشافعي وآخرون، 1416هـ، المنهج المدرسي من منظور جديد، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان.
 - 3- بشير إبرير، 2007م، تعليمية التصوص بين النظرية والتطبيق، ط1، إربد-الأردن، عالم الكتب الحديثة.
 - 4- حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، لبنان، الدار المصرية اللبنانية.
 - 5- خير الدين هتي، 2005م، مقارنة التدريس بالكفاءات، ط1، الجزائر، مطبعة عين البنيان.
 - 6- دوني كوش، 2007م، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، ط1، بيروت-لبنان، المنظمة العربية للترجمة.
 - 7- سعدون محمد الساموك، هدى علي جواد الشمري، 2005م، مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، عمان-الأردن، دار وائل.
 - 8- شوقي حساني محمود حسن، 2009م، تطوير المناهج رؤية معاصرة، ط1، المجموعة العربية للتدريب والنشر.
 - 9- طه علي حسين الدليمي وسعاد عبد الكريم عباس الوائلي، 2005م، اللغة العربية مناهجها وطرق تدريسها، ط1، عمان-الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
 - 10- طيب نايت سلمان وآخرون، 2004م، بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، مفاهيم بيداغوجية في التعليم، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
 - 11- عبد الكريم غريب، 2006م، المنهل التربوي - معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، الدار البيضاء-المغرب، منشورات عالم التربية.
 - 12- عمران جاسم الجبوري، حمزة هاشم السلطاني، 2013م، المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية، ط1، عمان-الأردن، دار الضؤان للنشر.
 - 13- ماهر إسماعيل صبري محمد يوسف، 2009م، المدخل للمناهج وطرق التدريس، ط1، توزيع جمهورية مصر العربية، مملكة السعودية، سلسلة الكتاب الجامعي العربي.
 - 14- الموسوعة العربية العالمية، 1999م، ط1، الرياض-المملكة العربية السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- المجلات:**
- 1- عبد الرحمن الحاج صالح، 1973م، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، الجزائر، عدد (4)، ص 17-80.
 - 2- عبد المالك مرتاض، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، مجلة تجليات الحداثة، ع4، ص 30-45.